حقيقي مع الزمن لإقامة مشروعها قبل أن تتمكن الشعوب من حسر ظلال تلك الظاهرة وتفوت عليها فرصتها الذهبية. وبالفعل تمكنت سنة ١٩٤٨، وقبل أن تنال غالبية الشعوب استقلالها، من إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وأفلحت في الحصول على «شرعية» دولية تحت ظلال هيمنة «شرعية» الظاهرة الاستعمارية الأوروبية على عدد كبير من أقطار العالم.

من الملاحظ أننا ركزنا على علاقة الصهيونية باللاسامية أكثر من تركيزنا على علاقتها بالاستعمار. ولا يجب أن يفهم من ذلك أن القصد هو تحجيم العلاقة الصهيونية – الاستعمارية وإغفال الاستعمار البريطاني ومن ثم الاميركي في تنفيذ المشروع الصهيوني. ذلك أن هذه العلاقة أكثر وضوحاً، ومغطاة بشكل أو بآخر ولا ينكرها، لا ماضياً ولا حاضراً، أصحاب المشروع الذين يعتبرون أنفسهم جزءاً من «العالم الحر». والمقصود من هذا المصطلح، في الوقت الحاضر، الولايات المتحدة وعدد من الدول ذات التراث الاستعماري. لذا فضلنا الاشارة فقط إلى هذه العلاقة دون الخوض فيها. وما يعنينا هنا هو تأثر الصهيونية من مسار أفول الظاهرة الاستعمارية تماماً كتأثرها من غروب اللاسامية.

وتجدر الاشارة إلى أن العامل المتحكم في العلاقة القائمة بين الصهيونية والاستعمار يكمن في قوة تماثل المصالح بين الطرفين في الشرق الأوسط، وفي مدى نفوذ الحركة الصهيونية في البلد المستعمر؛ ووفق هذا العامل تتحدد العلاقة وطبيعتها ومدى قوتها. ففي الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، كانت الحركة الصهيونية تضع ثقلها الأساسي على بريطانيا وتراهن عليها وترتبط ارتباطاً محكماً بها، وذلك بحكم كونها كبرى الدول الاستعمارية ذات النفوذ القوي في الشرق الأوسط. ومع ظهور علائم الشيخوخة على الامبراطورية البريطانية، المصاحب ببروز الولايات المتحدة الاميركية ودخول بريطانيا عقب الحرب في طور الاعتماد الاقتصادي على الولايات المتحدة، أخذت الحركة الصهيونية تمهد الطريق لعملية الاستبدال. وكان مؤتمر بلتيمور الذي انعقد في نيويورك سنة ١٩٢٤ من أبرز المؤشرات على هذا التحول.

لم تجر عملية الاستبدال دفعة واحدة، وإنما سارت ببطء وتفاعلت وتيرتها مع وتيرة مسار عملية بسط النفوذ الاميركي في الشرق الأوسط، ولكن دون التخلي عن التحالف مع الاستعمارين السابقين وتمتين الروابط معهما لجهة محاربة تطلعات الشعوب العربية نحو الاستقلال.

وقد تأثرت عملية الاستبدال كثيراً بتعارض المصالح والمنافسة القائمين بين الاستعمار الجديد الزاحف إلى المنطقة والاستعمارين البريطاني والفرنسي اللذين كانا يمران في طور الغروب عنها. فقد كانت ظلالهما آخذة بالانحسار عن بلدان كثيرة في أكثر من قارة، وحاولا، خلال الخمسينات، بكافة الوسائل، الابقاء على نفوذهما في المنطقة العربية مما رفع وتيرة العداء بينهما وبين الشعوب العربية لدرجة الصدام الدموي الذي كان من أبرز معالمه العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وحرب الجزائر. وقد راهنت اسرائيل